الطـــــاويـــــة

– عرض ونقد –

إعداد

عبدالعزيز بن أحمد بن عبدالله البداح

أستاذ مشارك –قسم الدراسات الإسلامية

كلية التربية–جامعة تبوك

شعبة النشر والخدمات المعلوماتية

إصدار يوليو لسنة ٢٠٢١م

مقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين،،

أما بعد:

فإن الديانات الوضعية تأخذ مساحةً من هذا العالم في عدد أتباعها، ومن أشهر هذه الديانات "الطاوية"، لذا اخترت أن يكون بحثي هذا بعنوان: "الطاوية.. عرض ونقد".

خطة البحث:

جاء هذا البحث في مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

أما المقدمة فذكرت خطة البحث ومنهجي فيه.

وأما المبحث الأول: ففي مؤسس الطاوية.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مولده ونشأته.

المطلب الثاني: كتبه ومدوناته.

وأما المبحث الثاني: ففي معتقدات الطاوية وتعاليمها.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالطاوية وأصولها الفكرية.

المطلب الثاني: تعاليم الطاوية ومعتقداتها.

المطلب الثالث: تأثير البوذية والكونفوشيوسية على الطاوية.

المطلب الرابع: نقد تعاليم الطاوية ومعتقداتها.

ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

منهج البحث:

اتخذت في هذا البحث الخطوات الآتية:

١- عزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها من القرآن الكريم.

٢- حاولت الرجوع إلى أكثر ما كتب عن الديانة "الطاوية".

٣- أنهيت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج.

٤- قمت بعمل فهرس للمصادر والمراجع.

وقد بذلت جهداً ووقتاً، فما كان من صوابٍ فمن الله وحده، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان.

والله اسأل التوفيق في القول والعمل.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه.

المبحث الأول

مؤسس الطاوية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مولده ونشأته.

المطلب الثاني: كتبه ومدوناته.

المبحث الأول

المطلب الأول
مولده ونشاته

يرى كثير من الباحثين أن (لا وتس) هو مؤسس مذهب الطاوية وواضع معتقداتها.

ولد "لا وتس" عام ٦٠٤ ق. م، وقيل عام ٥٠٧ ق. م، وتوفي عام ٥٣١ ق.م.

ومعنى "لا وتس" المعلم القديم، وعرف أيضاً باسم "طاوثي كينج".

ويقال بأن "لا وتس" أخذ فلسفته من أحد علماء الأجانب ثم جاء إلى الصين وأسس مدرسة تخرج منها على يديه كثير من الفلاسفة والحكماء من مثل (كوان يون تسو) و(يون وين تسو) و(لي تسو) فكان ذلك سبباً في نجاحه نجاحاً كبيراً فشرع للناس مذهباً جديداً أو بعبارة أخرى ديانةً جديدةً سماها باسمه فتهافت عليها الصينيون، ولم يمر زمن قليل حتى كانت سائدةً في جميع أنحاء الصين.

ويمتاز (لاو تس) في فلسفته و ديانته بأنه ميال إلى النظريات أكثر منه إلى العمليات وذلك مما حدا بكثير من الفلاسفة الذين أتوا بعده إلى مخالفته في بعض قواعده.

وقد عاش (لا وتس) في أواخر الدولة الثالثة من بلاد الصين، وقد كانت الفلسفة متقدمةً تقدماً عظيماً حينها.

عمل (لا وتس) مسئولاً عن الإدارة الوثائقية التدوينية للقصر الإمبراطوري في عصره، ثم اعتزل السياسة وترك وظيفته، وقرر الانصراف إلى التأمل والتجوال في البلاد.

وبعد وفاة (لا وتس) ذهب أتباعه إلى تشويه أفكاره بأن حولوها إلى عقيدة تؤمن بمعبودات لم يذكرها في حكمه وأقواله وبدأوا يؤلهون كل شيء في الطبيعة حتى الفئران والثعابين وآمنوا بالشياطين والجن والأرواح الشريرة ثم تحول الناس بعد فتره من وفاته إلى عبادته جاعلين منه إلهاً فبنيت له المعابد في كثير من مدن الصين[1].

واتضح لي من خلال الاطلاع على المراجع أن المعلومات عن "لا وتس" غير كثيرة خاصةً فيما يتعلق بنشأته.

---

[1] موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة، سعدون الساموك، دار المناهج عمان، ط الأولى ١٤٢٢هـ، (١٢٨/١)، دائرة معارف القرن العشرين، محمد وجدي، دار المعرفة بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٧١م، (٦٢٢/٥).

المطلب الثاني
كتبه ومدوناته

هناك خمسة كتب للطاوية اثنان منها ألفها (لا وتس)، والباقي ألفها تلاميذه، ويمكن إجمالها على النحو التالي:

١- كتاب (لا وتس):

هذا الكتاب يحمل اسمه، وقد ذكر الباحثون في تأليفه قصةً مفادها: أن (لا وتس) عندما وصل عند حدود البلاد عندما ترك منصبة وآثر الارتحال والتجول، قال له الحارس "ين شر": إنك إذن تنشد العزلة، وأنا أرجوك أن تكتب لي كتاباً، فكتب له (لا وتس) كتاباً من جزأين في الطاو والطاوية يشتمل على خمسة آلاف كلمة، ولما أتمه اختفى ولم يعلم أحدٌ أين مات.

وقد قيل إن هذا الكتاب مشكوك في نسبته إلي (لاوتس).

٢- كتاب (طاو - تي تشينغ):

هذا الكتاب ألفه (لا وتس)، ومعنى (طاو – تي تشينغ) أي كتاب (الطريقة والفضيلة)، وهو يشتمل على أهم النصوص الخاصة بالفلسفة الطاوية التي يعتبرها العلماء الصينيون موجودة قبل (لا وتس) بوقت طويل، وهذا الكتاب عبارةٌ عن مجموعة قطعٍ أدبية تحيط بطبيعة طاو، كما تشمل قواعد عامة، وأمثال للحاكم الذي يمتلك زمام أمر الطاو، وهو كتابٌ غامضٌ في كثيرٍ من عباراته إذ إن ذلك الغموض مقصودٌ لذاته، وقد قيل: إنه ألّفة وهو في التسعين من عمره[٢].

وقد ترجم هذا الكتاب بعنوان: (الطريق إلى الفضيلة – نص صيني مقدس) ترجمه وقدم له الدكتور علاء الديب[٣].

وطُبع الكتاب طبعةً أخرى بعنوان:(كتاب التاو، تي تشينج) ترجمه وقدم له وعلّق عليه:فراس السواح[٤].

وله ترجمات وطبعات أخرى.

ويذهب بعض المؤرخين إلى كتاب "لاو تس" لم يسلم من التحريف وأنّ تلامذته أدخلوا فيه أقوالهم[٥].

---

[٢] موسوعة الأديان السماوية والوضعية، محمد العريبي، (٢٤٨/٣)، موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة (١٢٧/١).

[٣] الطريق إلى الفضيلة، لو تسو، ترجمة: علاء الديب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م.

[٤] كتاب التاو، تي تشينج، لاو تسو، ترجمة وتعليق وشرح: فراس السواح، دار علاء الدين، دمشق، ط١، ١٩٩٨م.

[٥] الديانات والعقائد في مختلف العصور، (ص١٦٣).

٣- كتاب (ثوانغ تسو):

مؤلف هذا الكتاب هو (تونغ تسو)، ويرجع إلى القرن الرابع والثالث قبل الميلاد، وقد زعم بأن (لا وتس) كان أحد المعلمين السماويين، كما قام بشرح كتاب معلمه (لا وتس) مضيفاً إليه شيئاً من فلسفته.

وقد بحث هذا الكتاب في النظرة الطاوية الفلسفية، كما أجرى مقابلة بين السماء والبشر، وبين الطبيعة والمجتمع، طالبا من الطاويين طرح كل الحيل المصطنعة، وفية قصص عن بشر كاملين يستطيعون الطيران وهم الخالدون الذين لا يتأثرون بالعناصر الطبيعية ولا يمسهم حر ولا قر، أصحاب أرواح تمتاز بحرية في تصرفاتها، وهو يصف حكايات رمزية، وحوارات بين (شوانغ تسو) ونقّاده، وقصص عن القديسين الطاويين، ويصف الكتاب شكلاً من أشكال المعرفة لا يسلّم به إلا الخير أو السالك فحسب، والحديث عن هذه المعرفة لا يصح مع غير الخير، وذلك لأن إله النهر لا تعرف شيئاً عن البحر أو أن الحسرة لا يمكن أن تتصور طيران الطيور المهاجرة، فكذلك الإنسان قليل المعرفة لا يمكنه أن يتصور (المعرفة الأعظم) فهذه المعرفة الأخيرة يظفر بها الخير في حالة الوجد.

٤- كتاب هوانغ- تي ني- تشينغ:

يتحدث مؤلفه فيه عن بعض التجارب على المعادن والنباتات والمواد الحيوانية انطلاقاً من اهتمامهم بالمحافظة على الصحة وإطالة الحياة.

٥- كتاب باو - بو - تسو:

انتهى مؤلفه من تأليفه عام ٣١٧م، وهو يبحث في علوم الكيمياء القديمة، وفيه محاولات لتحويل المعادن إلى ذهب، وإطالة الحياة بواسطة بعض العقاقير.

فهذه الكتاب الخمسة هي المقدسة لدى الطاوية، ومنها ينتقون علومهم وفلسفتهم في الحياة[٦].

---

[٦] موسوعة الأديان السماوية والوضعية، محمد العريبي، (٢٤٨/٣)، موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة (١٢٧/١).

المبحث الثاني
معتقدات الطاوية وتعاليمها

المطلب الأول

التعريف بالطاوية وأصولها الفكرية

الطاوية مذهب فلسفي صيني صوفي طبيعي، تحول إلى دينٍ وضعي، وكانت في الأصل مجموعةً من الآراء الفلسفية والنظريات السياسية وليست دينا، وهو في الأصل مستمدٌ من كتاب: "لاو لوتس". مؤسس المذهب الطاوي.

والطاوية إحدى الديانات الكبرى فب بلاد الصين، ولا تزال قائمة إلى الآن، وترجع إلى القرن السادس قبل الميلاد. وتقوم الطاوية في جوهرها على العودة إلى الحياة الطبيعية والوقوف موقفاً سلبياً من الحضارة والمدنية.

ويسميها بعضهم "التاوية"، والبعض الآخر "الداوية" وبعضهم يسميها "الطاوية" وكلها لمسمى واحد.

ويقال إن "الطاوية" سبقت (لاو تس) بزمن طويل ومنسوبة إلى (تاوتي كنج) ومعناه كتاب الطريقة والفضيلة.

وتعود الطاوية إلى مصدرين:

الأول: فلاسفة عصر الولايات في الصين، وقد اتبعوا "طاو" الطبيعة وليس "طاو" المجتمع البشرى، وهؤلاء لم يسكنوا الأراضي الزراعية ليعملوا في خدمة الملوك الكبار، وإنما فضلوا الإقامة في البراري والانصراف إلى حالة التأمل والتفكر في الطبيعة.

الثاني: الأطباء الدجالون المشعوذون: وقد مارسوا السحر زاعمين اتصالهم بالأرواح الخفية، التي يلجؤون اليها لقصد شفاء الأمراض.

ومن المناسب الإشارة لمعنى كلمة (طاو) عند الطاوية فنقول:

إن كلمة (طاو) قبل كونفوشيوس، كانت تعني (الطريق) أو (أسلوب عمل)، والمعروف أن

(كونفوشيوس) استخدم هذا المصطلح بمعني الطريق الصحيح للعمل أخلاقياً واجتماعياً وسياسياً، ولم يعط لهذه اللفظة أي بعد ميتافيزيقي.

(والطاو) في نظر الطاويين، أخذت بمعنى (المطلق) فهي تعني المادة الأولية التي وجدت منها الأشياء، وهي لذلك مادة بسيطة لا شكل لها، وقد وجدت قبل السماء والأرض، ولا يحتاج والإنسان في طلبها إلى أي جهد، ومجرد طلبها يغدق على الإنسان الرضي والسكينة، وتجعله يرتد إلى الحلّة البدائية المليئة بالخير والسعادة[٧].

ووضعت البذور الدينية للطاوية خلال عصر الفلسفة من القرن الثالث وحتى السادس قبل الميلاد، إذا عاشت الصين في تلك الفترة ازدهار الفلسفة وكثر الفلاسفة، وأخذ أتباعهم في البحث عمن يضع فلسفتهم موضع التطبيق العملي، وخرجت مدارس لذلك، كان منها المدرسة الطاوية.

في القرنين الثالث والرابع قبل الميلاد تحولت الطاوية من نظرية فلسفية على أساس صوفي إلى ديانة للخلاص، ومن مسألة تأمل شخصي إلى كنسية منظمة ذات نظام كهنوتي وتصاعدي واتباع[٨].

والهدف الأسمى للطاوية هو حيازة الروح الخالدة وتهذيب النفس سعيا وراء العمر المديد، لأن الطاوية ترى في البقاء سعادة فلا ألم إلا الموت[٩].

---

[٧] بتصرف من: ذيل الملل والنحل، محمد كيلاني، شركة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٩٦هـ: (٢٦/٢). العقائد والأديان، عبر القادر صالح، دار المعرفة، الطبعة الاولي ١٤٢٤هـ (٩١). موسوعة الأديان والمذاهب، عبدالرزاق محمد أسود، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط٢، ١٤٢٠هـ، (٩٧/١). الموسوعة العربية الميسرة، محمد شفيق غربال، دار نهضة لبنان، بيروت، ١٩٨٠م، (١١٤٨/٢). موسوعة الأديان السماوية والوضعية (٢٤٦).

[٨] المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بار ندر، ترجمة: إمام عبدالفتاح إمام، عالم المعرفة، الكويت، (ص٢٨١، ٣١١).

[٩] الأديان في الصين، سانغ جي، ترجمة: تشنغ بوه وآخرون، دار النشر الصينية عبر القارات، ٢٠٠٤م، (ص٨٣).

المطلب الثاني

تعاليم الطاوية ومعتقداتها

للطاوية معتقداتها وتعاليمها، ونظرتها للإله والكون والحياة والإنسان، وسأعرض لعقائدهم من خلال كتابهم المقدس.

١- عقيدتهم في الإله:

الإله غامضٌ في الطاوية فلا يوصف ولا يعرف، ووجوده سابقٌ لوجود غيره، وهو أبدي لا يفنى، جاء في كتاب الطاوية: "على نحو غامض تكون وتشكل، وولد قبل السماء والأرض، يقف ثابتا لا يتغير، أمام الصمت والفراغ، حاضرا أبدا دائم الحركة، ربما يكون هو أم العشرة آلاف شيء، أنا لا أعرف له اسما، فلنسمه "الطاو"، ولأننا لا نملك كلمات أفضل، فإني أُطلق عليه وصف عظيم، ولأنه عظيم فهو يسبح، يسبح بعيداً جدا، وعندما يصبح في كل الأبعاد، فإنه يرجع من جديد، لذلك الطاو عظيم"(١٠).

وجاء أيضا: "الطاو يبقى إلى الأبد مستحيل التعريف، ورغم أنه صغير ودقيق، قبل أن يأخذ شكلا، فإنه لا يمكن إدراكه"(١١). "وحده الطاو الذي يغذي كل شيء، ويصل بها الى كمال التحقق ...لماذا يحب الناس الطاو للوهلة الأولى؟ أليس ذلك لأنك واجد عنده دائما ما تبحث عنه، وعنده دائما تغتفر خطيئتك، لذلك فإن الطاو أعظم كنوز الأرض"(١٢). "الطاو في السماء لا يجالد لكنه دائما ينتصر، هو لا يتكلم لكن دائما يستجاب له، لا يطلب لكن ياتيه ما يحتاجه"(١٣). "خفي وغامض ولكنه حاضر أبدا، لا أدري ابن من هو، ولكنه سلف الآلهة"(١٤). "هناك شيء بلا شكل موجود قبل السماء والأرض، صامت وفارغ قائم بنفسه لا يحول، يتخلل المكان ولا ينفد، إنه بمثابة الأم لهذا العالم، لا أعرف له اسما فادعوه التاو، لا أعرف له وصفا فأقول العظيم، عظمته امتداد في المكان... لأن التاو عظيم السماء عظيمة، لأن السماء عظيمة الأرض عظيمة، لأن الأرض عظيمة الإنسان عظيمة، أربعة ينتسبون إلى العظمة،

---

(١٠) الطريق إلى الفضيلة، لو تسو، (ص٣١).

(١١) الطريق إلى الفضيلة، لو تسو، (ص٣٩).

(١٢) الطريق إلى الفضيلة، لو تسو، (ص٧٠).

(١٣) الطريق إلى الفضيلة، لو تسو، (ص٨٢).

(١٤) كتاب التاو، تي تشينج، لاو تسو، ترجمة وتعليق وشرح: فراس السواح، دار علاء الدين، دمشق، ط١، ١٩٩٨م، (ص٣٨).

الإنسان يقتدي بالأرض، الأرض تقتدي بالسماء، السماء تقتدي بالتاو، التاو يقتدي بذاته"(١٥).

وعلى هذا فالطاوية ترى أن الطاو هو أصل الوجود وحاكمه، شامل لكل شيء موجود في كل مكان وزمان، وهو بداية كل الكائنات، لا وجود للكون أو الكائنات إلا بوجوده(١٦).

ويقول "الطاوية" بوحدة الوجود والحلول والاتحاد إذ يرون أن الخالق والمخلوق شيء واحد، وأن الخالق حالٌ في الموجودات.

جاء في كتاب الطريق إلى الفضيلة: " تصرفات الملوك تجلب لك القداسة، وبالقداسة تكون واحدا مع الطاو، أن تكون واحدا مع الطاو يعني الخلود"(١٧). "من يتبع الطاو يكون والطاو واحدا"(١٨).

والطاوية عقيدة متعددة الآلهة أساسها عبادة العالم السماوي، ترى أن الملائكة لديها مهارات وقدرات خارقة

٣- التصوف عند الطاوية:

تدعو الطاوية إلى التصوف، وهو الإعراض عن الدنيا والتقلل منها، جاء في كتاب "الطريق إلى الفضيلة": "فكما يقول أتباع الطاو هذا طعام زائد وهذه أمتعة غير ضرورية وهي لا تجلب السعادة"[١٩]. "في السكن: ما يهم هو الحيز الذي يسدّ حاجتك"[٢٠]. "تخلص من معظم الرغبات"[٢١].

٣- العقل عند الطاوية:

ينظر الطاويون إلى العقل نظرة سلبية، فهم يحتقرون العقل كأساس لاكتساب المعرفة. جاء في كتاب "الطريق إلى الفضيلة": "اجعل العقل في سلام"[٢٢].

٤- العلاقة الاجتماعية عند الطاوية:

قرر (لا وتس) لاتباعه وفي ديانته التسامح المطلق، ومقابلة السيئة بالحسنة، والغفو عن الناس،

---

[١٥] كتاب التاو، تي تشينج، لاو تسو، (ص٦٠).

[١٦] الأديان في الصين، (ص٨٣).

[١٧] الطريق إلى الفضيلة، لو تسو، (ص٢٢).

[١٨] الطريق إلى الفضيلة، لو تسو، (ص٢٩).

[١٩] الطريق إلى الفضيلة، لو تسو، (ص٣٠).

[٢٠] الطريق إلى الفضيلة، لو تسو، (ص٤٢).

[٢١] الطريق إلى الفضيلة، لو تسو، (ص٥٣).

[٢٢] الطريق إلى الفضيلة، لو تسو، (ص٢١).

جاء في كتاب (لاو تس): "القاسي القوي يسقط، أما اللين الضعيف فيتغلب"[٢٣]. "الحكيم يضع نفسه في المؤخرة ليجدها في المقدمة، عندما ينسى نفسه يجد نفسه"[٢٤]. "الحكيم ينكفأ نحو الداخل"[٢٥].

٥- الحياة عند الطاوية:

يقدر الطاويون الحياة ويعظمونها، ويرون أن طول عمر الإنسان نوع من القداسة، فراحوا يسعون إلى الخلود، وذهب بعضهم إلى القول بإمكانيه إطالة العمر مئات السنين، واكسير الخلود عند الطاوية ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: اكسير خارجي يكون بتناول أدوية لكن عدد الذين ماتوا بسبب تعاطي هذه الأدوية لم يكن قليلا.

القسم الثاني: اكسير داخلي يكون بتهذيب الروح، ويكون تشكيله داخل الجسم حتى تطيل الحياة ويحصل الخلود[٢٦].

ومن القواعد الصحية والتنفسية كإجراء التناوب بين الصيام والفطور والتنفس بالجسم كله والنوم بين عذراوات أو فوق واحدة منهن[٢٧].

وبالطبع لم يعرف التاريخ أن أحدا صار ملاكا فحصل له الخلود بالاعتماد على استخلاص اكسير الحياة[٢٨].

جاء في كتاب الطاوية: "أن تموت دون أن تهلك، ذلك هو الحضور الأبدي"[٢٩]. "الطاو يقود إلى الأبدية"[٣٠].

---

[٢٣] الطريق إلى الفضيلة، لو تسو، (ص٨٤).

[٢٤] الطريق إلى الفضيلة، لو تسو، (ص٤١).

[٢٥] الطريق إلى الفضيلة، لو تسو، (ص٤٦).

[٢٦] الأديان في الصين، (ص٨٤).

[٢٧] موجز تاريخ الأديان، فيلسيان شالي، ترجمة: حافظ اجمالي، طلاس للدراسات والترجمة، دمشق، ط٢، ١٩٩٤م، (ص١١٦).

[٢٨] الأديان في الصين، (ص٨٤).

[٢٩] الطريق إلى الفضيلة، لو تسو، (ص٤٠).

[٣٠] الطريق إلى الفضيلة، لو تسو، (ص٥٠).

المطلب الثالث

تأثير البوذية والكونفوشيوسية على الطاوية

هناك ديانةٌ أقدم من الطاوية والكونفوشيوسية تفرعت عنها الديانة الطاوية والكونفوشيوسية وسيطرت هذه الديانة القديمة على الصين لما يقرب من ألف سنة[٣١].

تذكر الروايات أن (كونفوشيوس) مؤسس الكونفوشيوسية قد التقى (لوتس) وأخذ عنه وتلقى العلوم الفلسفية.

وعلى هذا عاصرت (الكونفوشيوسية) (الطاوية)، أو ولدتا في عهدين قريبين، أو سبقت (الطاوية)، وليس هناك تاريخ دقيق يبين الترتيب الزمني للديانتين يمكن أن يرجع إليه[٣٢].

في حين يميل بعض الباحثين أن (لا وتس) أسبق بقليل من (كونفوشيوس) وأنه اتصل والتقى به[٣٣].

ومما يذكر في هذا أن (كونفوشيوس) سأل (لا وتس) حول بعض المسائل المتصلة بالتاريخ وتلتمس منه إجابة مختصرة مدهشة قال فيها: (إن الذين تسأل عنهم قد استحالوا وصاروا عظاما، ولم يبق إلا ألفاظهم، إذا ما حانت ساعة الرجل العظيم قام من فوره وتولى القيادة، أما قبل أن تحين هذه الساعة، فإن العقبات تقام في سبيل كل ما يحاوله، ولقد سمعت أن التاجر الموفق يحرص على إخفا ء ثروته، ويعمل عمل من لا يملك شيئاً من حطام الدنيا، وأن الرجل العظيم بسيط في أخلاقه ومظهره، رغم ما يقوم به من جلائل الأعمال، فتخلص من كبريائك ومطامعك الكثيرة، وتصنعك وامالك المغرضة البعيدة، إن هذه كلها لا ترفع قط من أخلاقك وهذا ما أشير به عليك".

ولما رجع (كونفوشيوس) إلى تلاميذه قال لهم: (لقد قابلت اليوم (لا وتس) ولست أجد له

---

[٣١] المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بار ندر، (ص٢٦٨).

[٣٢] الديانات والعقائد في مختلف العصور، أحمد عبدالغفور عطار، من غير ناشر، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠١هـ، (ص١٤٨، ١٦٣).

[٣٣] موجز تاريخ الأديان، فيلسيان شالي، (ص١١٤).

مثيلاً غير التنين)[٣٤].

ولهذا فمن المناسب الإشارة إلى أوجه الخلاف والاتفاق بين كل منها، ليتحدد مدى التأثير بين الشخصيتين، والتقارب بين المذهبين.

أما الاتفاق فيتمثل في أن كل منهما يبشر بالحلم والصبر وبالوالدين والعطف على الأقربين والغرباء وفي أن كل منهما لم يغير عقائد قومه الدينية ولم يزد عليها شيئا وإنما كان يشاركهم في طقوسها و

شعائرها.

أما الاختلاف بينهما فمن أوجه:

أ- يرى (لا وتس) أن التفكير وشحذ العقل في محاولة إصلاح المجتمع الفاسد لا خير فيه أنه يضر الحياة أكثر مما ينفعها وأن الخير كل الخير في الزهد والتقشف والعزلة والتأمل الهادئ في الطبيعة.

بينما يرى (كونفوشيوس) ضرورة الاختلاط بالناس ليصلح من حالهم وليس من مذهبة اعتزال الناس والزهد في الدنيا.

ب- كان من مبادئ (لا وتس) العفو والتسامح ومقابلة الإساءة بالإحسان، بينما كان (كونفوشيوس) يرى ضرورة أن يأخذ العدل مجراه في كل الأمور فمن العدل أن يعاقب المسيء على إساءته وليس من العدل العفو عن سيئته ولكن يعدل معه.

ج- يرى (لا وتس) أن طاو هو البداية العظمى لجميع الأشياء في العالم، وأن أول واجب على الناس الذي يريدون أن يحيوا حياة فاضلة سعيدة صحيحة هو الإيمان بطاو، أي طريق الله وإن الدنيا هي التي ستعني بنفسها بعد ذلك.

بينما (كونفوشيوس) كان لا يهتم بمعرفة شيء عن الله وأسمائه وصفاته بل بذل جهده في إصلاح الناس وإسعادهم في دنياهم وكان يقول: أن الله يمكن أن يعنى بنفسه.

---

[٣٤] قصة الحضارة، ويل ديو رانت، ترجمة: زكي نجيب محمود، نشر الجامعة العربية، القاهرة، ط٣، ١٩٦٨م، (٣٨/٤).

د- يميل (لا وتس) إلى التصوف ويقيم تعاليمه عليها، ويحتقر العقل كأساس لا كتساب المعرفة، بينما أقام (كونفوشيوس) فلسفته على العقل والمنطق والتحصيل[٣٥].

وهذا لا يمنع أن تأثير البوذية على الطاوية ظاهر جدا، إذ أخذت منها الرهبنة وترك الزواج من الرهبان، والقول بتقمص الأرواح وتناسخها[٣٦].

ويظهر من هذا العرض التأثر الواضحين بين المذهب الطاوي والكونفوشيوسية والبوذية، وتلاقيهم في كثير من المعتقدات والتعاليم، ولكن من المرجح أن الطاوية أقرب في تعاليمها إلى الكونفوشيوسية منها على البوذية، نظراً لالتقاء مؤسسي المذهبين وأخذهما عن بعضهما ـ كما سبقت الإشارة إليه.

---

[٣٥] بتصرف من: دائرة معارف القرن العشرين (٦٤٢/٥)، موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة (١٣١/١)، ذيل الملل والنحل (٢٦/٢)، الديانات والعقائد في مختلف العصور، (ص١٥٧).

[٣٦] تاريخ الحضارات العام، إدوار بروي، ترجمة: يوسف داغر وفريد داغر، منشورات عويدات، بيروت، ط١، ١٩٦٥م، (٩٩/٣).

المطلب الرابع
نقد تعاليم الطاوية ومعتقداتها

نستعرض في هذا المطلب ما يمكن توجيهه للطاوية من نقد في تعاليمها ومعتقداتها. وبادئ ذي بدء نقرر أن الأديان السماوية والمذاهب الوضعية تسعى فيما تسعى إليه إلى تحقيق أهداف ومعان لعل من أبرزها:

١- خدمة الإنسان وتحقيق السعادة له، وضمان العيش الكريم للمجتمع بعامة.

٢- تخليص الإنسان من كل سوء يكدّر حياته، وبلاء ينغص عليه عيشه.

٣- إيجاد التفسير المقبول للظواهر الكونية والموجودات المادية بما فيها الإنسان.

٤- ضمان السعادة الأبدية للإنسان بتشريع يقربه لربه ويجعله يحوز على رضى مولاه.

٥- إيجاد المواءمة الطبيعية بين الإنسان ومجتمعه وبيئته والحياة بعامة.

وبناء على الأهداف التي تسعى الشرائع والمعتقدات لتحقيقها للإنسان، نستطيع الحكم على تلك الشرائع الوضعية منها وبيان أوجه الخلل والقصور فيها.

ولعل مما يشار إليه في هذا المقام أن التعامل مع أي شيء في الوجود إنما يتم من خلال معرفته والوقوف على حقيقته، وكلما كان الاطلاع على حقيقة الشيء وماهيته، وأمكن التعامل معه بصورة أفضل، والتعاطي معه بما يحقق الأهداف المبتغاة.

وعلى هذا فإن التعامل مع هذا الوجود بما فيه، لا يمكنك إلا لمن وقف عليه، وعرف أسراره، واطلع على خفاياه.

ولا يكون ذلك إلا للذي خلقه وأوجده **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤)** [الملك].

فإن الرب سبحانه لما كان خالق الخلق وموجدهم، كانت تشريعاته وما جاء على ألسنة رسله مناسباً لأحوالهم، محققاً لسعادتهم.

ولعل هذا يفضي بنا إلى القول بأن الطاوية لما كانت مذهباً وضعياً أنشأه وقام عليه رجل من بني

البشر، لم يكن له أن يعرف حقائق الكون، وطبيعة الإنسان، وتفاصيل الوجود، حتى تكون تشريعاته وتعاليمه على وفق هذه الحقائق، وقانون هذه الطبائع.

وإذا تقرر وضعية المذهب، وبشرية صاحبه، كانت تعاليمه ومعتقداته، من جنس ما يصدر عن البشر، يعتريه النقص، ويحيط به القصور، ولا يخلو من الخلل.

ولعل مما يسجل نقداً للطاوية وتعاليمها ما يلي:

أولاً: أن توجه الطاوية نحو تأليه البشر وعبادتهم من دون الله تعالى، وفي هذا وقوع في هاوية الجهل، إذا إن أعظم الجهل أن يوجه الإنسان في العبادة والتأله إلى إنسان مثله، مع ما فيه من استعباد للبشر وإذلال لهم، وتنقّصٍ للكرامة الإنسانية، التي جاءت الشرائع بحفظها، وقد استنكر الله سبحانه على أقوام توجهوا في العبادة إلى غيره واتخذوا إلهاً سواه، فقال سبحانه: **وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا** ﴿٣﴾ [الفرقان].

ثانياً: ينبني على النقد الأول، على أن ذلك المذهب الذي ورط الإنسان في عبادة مخلوقات مثله، لن يحقق له السعادة الأبدية، والنعيم السرمدي، لأن ذلك مشروطٌ بتحقيق العبادة للخالق وحده

يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) [الزخرف]. وأما من توجه لغير الله فلن يكون له في الآخرة من خلاق أو نصيب.

ثالثاً: أن هذا الخالق الذي يجب أن يعبد ويعظّم ويقدّس، ينبغي أن يكون منعوتاً بنعوت الجلال، موصوفاً بصفات الجمال، لكن قول الطاوية بالحلول ووحدة الوجود، يتنافى مع عظمة الخالق، وما يجب له، لقد تعدت الطاوية بتعاليمها هذه على الذات الإلهية ووصفتها بالنقائص تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

رابعاً: أن القول بأن الطريق للسعادة، وتحقيق رضا الخالق، باعتزال الخلق، والرغبة عن الدنيا، مجانب لطريقة الرسل، ومخالفٌ ما أراده الله من عمارة الأرض

ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ

إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٧)

[الحديد: ٢٧].

ولأنه لا يمكن استقامة أحوال الناس، وصلاح أمورهم إلا بالإقبال على الدنيا وعمارتها وفق مراد الله تعالى.

وبهذا يتضح أن وسيلة (الطاوية) في تحقيق السعادة الأبدية، مناقضةٌ للفطرة، مصادمةٌ لمصالح الناس، ولا تتفق مع مراد الخالق سبحانه.

خامسا: أن تحقيق السعادة في الآخرة مطلب من مطالب البشر ودعوةٌ من دعوات الأنبياء عليهم السلام، ولا يتفق هذا المعنى مع ما ذهبت إليه (الطاوية) من إنكار الحساب، وجحود البعث، والكفر بالآخرة، فإن في ذلك تكذيب لها تواتر عن الرسل عليهم الصلاة والسلام، وما بلغته عن الحق تبارك وتعالى، ومصادمة للعقل الذي يوجب وجود دارٍ أخرى يلاقي فيها الحسن إحسانه، والمسيء إساءته.

سادساً: أن ما ذهبت إليه (الطاوية) من القول بإمكانية الخلود في الدنيا، وإمكان تحقيق ذلك عن طريق السحر والشعوذة، مخالفٌ لما عرفه البشر وعلموه يقيناً لا شك فيه، من أن لكل نفس أجل، ولكل مخلوق كتاب، لا يتقاصر عنه، ولا يتعداه **وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ ۖ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ٣٤** [الأنبياء]. وهذا الأمر يؤكد جنوح (الطاوية) في فلسفتها إلى حد ما لا يقره عقل، ولا يعترف به منطق.

سابعاً: أن التسامح فضيلة، ولكن التجاوز فيها إلى أن تصل إلى حد الخضوع والذلّة رذيلةٌ ممقوتة، وما دعت إليه (الطاوية) من التسامح المطلق، يتنافى مع وجوب العدل وإقامة القسط.

فكما أن الظلم والتعدي على الناس مرفوض، فكذلك التسامح المطلق والخضوع مرفوض أيضاً.

ثامناً: فسرت الشرائع دعواتها وبينت أحكامها، وأصبحت تعاليمها، وضوحاً لا لبس فيه، وكان ذلك من خصائصها **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ۚ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٨)** [الأنعام: ٣٨].

ولكن (الطاوية) على خلاف ذلك، إذا اتسمت كتبها المقدسة بالغموض، وأحاطها الخفاء، فلا يمكن الوقوف على معناها، وإدراك حقيقتها، وعليه فهي تزيد حيرة الإنسان، ولا تشبع رغبته في إدراك الحقائق، والوقوف على الأشياء.

وبالجملة فإن تعاليم الطاوية ومعتقداتها، تبين هزال المذاهب الوضعية، وفشل الدعوات البشرية في تحقيق السعادة للبشر.

الخاتمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده،،

أما بعد:

فبعد أن انتهيت ـ بحمد الله تعالى ـ من هذا البحث خلصت إلى النتائج الآتية:

١- أن (الطاوية) مذهب وضعي صيني وفلسفي، وضعه (لا وتس)، ولم تكن هناك معلوماتٌ كثيرةٌ حول مؤسس المذهب الطاوي ونشأته، وأحاط بسيرته كثير من الغموض.

٢- تقوم (الطاوية) في أصولها الفكرية على فلسفات صينية قديمة، وهي متأثرةٌ بالبوذية والكونفوشيوسية، ولهذا فهي خليطٌ من المعتقدات والأفكار.

٣- للطاوية تعاليم ومعتقدات حول الإله والتصوف والعلاقة مع الناس، وهي نتاج العقل البشري القاصر والفطرة المنحرفة، ولذا كانت عاجزةً عن تفسير حقائق الكون والوصول إلى إسعاد الإنسان.

هذا وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

ملخص البحث

البحث في موضوع يتعلق بالديانات الوضعية وهو الطـــــــــاويـــــــــة.. - عرض ونقد-
وقد جاء البحث في مقدمةٍ، ومبحثين، وخاتمةٍ.
أما المقدمة ففى خطة البحث ومنهجي فيه. وأما المبحث الأول: ففي مؤسس الطاوية وفيه مطلبان:
المطلب الأول: مولده ونشأته.
المطلب الثاني: كتبه ومدوناته.
وأما المبحث الثاني: ففي معتقدات الطاوية وتعاليمها.
وفيه أربعة مطالب:
المطلب الأول: التعريف بالطاوية وأصولها الفكرية.
المطلب الثاني: تعاليم الطاوية ومعتقداتها.
المطلب الثالث: تأثير البوذية والكونفوشيوسية على الطاوية.
المطلب الرابع: نقد تعاليم الطاوية ومعتقداتها.
ثم الخاتمة وفيها أهمّ النتائج التي توصّلت إليها من خلال البحث.
منهج البحث:
اتخذت في هذا البحث الخطوات الآتية:
عزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها من القرآن الكريم.
حاولت الرجوع إلى أكثر ما كتب عن الديانة "الطاوية".
أنهيت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج.
قمت بعمل فهرس للمصادر والمراجع.
وخلصت من البحث إلى النتائج الآتية:
أن (الطاوية) مذهبٌ وضعيٌّ صينيٌّ وفلسفيٌّ، وضعه (لا وتس)، ولم تكن هناك معلوماتٌ كثيرةٌ حول مؤسس المذهب الطاوي ونشأته، وأحاط بسيرته كثيرٌ من الغموض.
تقوم (الطاوية) في أصولها الفكرية على فلسفاتٍ صينيةٍ قديمة، وهي متأثرةٌ بالبوذية والكونفوشيوسية، ولهذا فهي خليطٌ من المعتقدات والأفكار.
للطاوية تعاليم ومعتقدات حول الإله والتصوف والعلاقة مع الناس، وهي نتاج العقل البشري القاصر والفطرة المنحرفة، ولذا كانت عاجزةً عن تفسير حقائق الكون والوصول إلى إسعاد الإنسان.

والله الموفق

Abstract

The present paper is related to positivist religions; Taoism: A review and criticism. The research includes an introduction, two chapters, and a conclusion. The introduction has plan and methodology, topic one handles the founder of Taoism in two subjects: his birth and upbringing and his books and scripts. Topic two discusses the beliefs and teachings of Taoism in four points: Definition of Taoism and its intellectual origins, Taoist teachings and beliefs, the influence of Buddhism and Confucianism on Taoism and criticism of Taoist teachings and beliefs. Conclusions contain the most important results of the research.

Methodology:

Attributing Qur'anic verses to their places in the Holy Qur'an

Referring to most of what was written about the "Taoist" religion

Concluding with the most important findings

Presenting an index of sources and references

The following results were obtained:

Taoism is a Chinese positivist and philosophical doctrine, developed by Lao Tzu. There was not much information about the founder and origin of the Taoist doctrine; his biography was surrounded by a lot of mystery. Taoism in its intellectual origins is based on ancient Chinese philosophies, being influenced by Buddhism and Confucianism. Therefore, it is a mixture of beliefs and ideas. Taoism has teachings and beliefs about God, mysticism, and the relationship with people, which is the product of the deficient human mind and perverted instinct. It was, thus, unable to neither explain the realities of the universe nor reach human happiness.

فهرس المصادر والمراجع

١–الأديان في الصين، سانغ جي، ترجمة: تشنغ بوه وآخرون، دار النشر الصينية عبر القارات، ٢٠٠٤م.

٢–أشهر الديانات القديمة، لطفي وحيد، مكتبة معروف، الإسكندرية، من غير تاريخ للنشر.

٣–البيان في مقارنة الأديان، الدكتور أسعد الشمراني، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ

٤–تاريخ الحضارات العام، إدوار بروي، ترجمة: يوسف داغر وفريد داغر، منشورات عويدات، بيروت، ط١، ١٩٦٥م.

٥–دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٩م.

٦–ذيل الملل والنحل، محمد كيلاني، شركة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٩٦هـ.

٧–الطريق إلى الفضيلة، لو تسو، ترجمة: علاء الديب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م.

٨–العقائد والأديان، عبد القادر صاح، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٩–قاموس الأديان والمذاهب، الدكتور حسين جهد، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

١٠– قصة الحضارة، ويل ديو رانت، ترجمة: زكي نجيب محمود، نشر الجامعة العربية، القاهرة، ط٣، ١٩٦٨م.

١١– كتاب التاو، تي تشينج، لاو تسو، ترجمة وتعليق وشرح: فراس السواح، دار علاء الدين، دمشق، ط١، ١٩٩٨م.

١٢– المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بار ندر، ترجمة: إمام عبدالفتاح إمام، عالم المعرفة، الكويت من غير تاريخ للنشر.

١٣– مقارنات الأديان – الديانات القديمة، الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، طبعة جديدة، ١٩٩١م.

١٤– موجز تاريخ الأديان، فيلسيان شالي، ترجمة: حافظ اجمالي، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط٢، ١٩٩٤م.

١٥– موسوعة الأديان والمذاهب الوضعية، د. محمد العربي، دار الفكر، بيروت، من غير تاريخ للنشر.

١٦– موسوعة الأديان والمذاهب، العميد عبد الرزاق أسود، الدار العربية للموسوعات، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ

١٧– موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة، الدكتور سعدون الساموك، دار المناهج، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٤٢هـ

١٨– الموسوعة العربية الميسرة، محمد شفيق غربال، دار نهضة لبنان، بيروت، ١٩٨٠م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١
المبحث الأول: مؤسس الطاوية	
المطلب الأول: مولده ونشأته	٤
المطلب الثاني: كتبه ومدوناته	٥
المبحث الثاني: معتقدات الطاوية وتعاليمها	
المطلب الأول: التعريف بالطاوية واصولها الفكرية	٧
المطلب الثاني: تعاليم الطاوية ومعتقداتها	٩
المطلب الثالث: تأثير البوذية والكونفوشيوسية على الطاوية	١٢
المطلب الرابع: نقد تعاليم الطاوية ومعتقداتها	١٥
الخاتمة	١٨
الملخص عربى	١٩
الملخص أجنبى	٢٠
فهرس المصادر والمراجع	٢١
فهرس الموضوعات	٢٣